



رشدي العامل

30 عاماً على الرحيل



مرافقة

من زمن التوهج

يون



رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

عز الدين

العدد (4795) السنة الثامنة عشرة
الخميس (22) تشرين الأول 2020
WWW. almadasupplements.com

6

رشدي العامل..
المقيم في فردوس الجمال



رشدي العامل... تجربة شعرية في الحد الفاصل بين الحداثتين الخمسينية والستينية ثلاثون عاماً على رحيل صاحب «حديقة علي»

علاء المفرجي



«

ينتمي الشاعر العراقي رشدي العامل (١٩٣٤-١٩٩٠) الذي تمر اليوم الذكرى الثلاثون لرحيله إلى جيل من الشعراء العراقيين عُرف فيما بعد باسم «الجيل الضائع»، وسمي بهذا الاسم لظهوره بعد جيل الرواد في العراق، الذي يضم إضافة إليه الشعراء سعدي يوسف، ومحمد سعيد الصكار، ويوسف الصائغ، ومحمود البريكان، وحسب الشيخ جعفر... وآخرين.

»

ويعد العامل أكثر من أي شاعر آخر سواء من شعراء هذا الجيل اقترن اسمه بالرومانسية: اتجاهها فنياً، ومضامين شعرية. أصدر ثمانية دواوين منشورة؛ كان أولها «همسات عشروت» (١٩٥١)، وأخرها «الطريق الحجري» (بغداد ١٩٩١). وهو شاعر متماه مع قصيدته، يمثل علاقة متفردة في الشعر العراقي الحديث جعلته قريباً من قلوب الناس.

استعادة الشاعر الخميني الراحل رشدي العامل يستلزم الوقوف عند اهتمامات جيله «التي كانت السياسة شاغله، والواقعية منهجه في الشعر والسرد، تعبيراً عن رؤية اجتماعية تزدهر في الصراعات الطبقيّة والعقائدية، حيث تصادم الرؤى وتعبر عن نفسها مباشرة بصوت عال، وغنائية تنعكس على لغة القصائد وصورها وإيقاعاتها».

وهنا عدد من الأدباء العراقيين يستذكرون تجربة الشاعر، ويطرحون آراءهم النقدية حول قصائده:

– الناقد فاضل ثامر: ما زال يبتسم للحياة يمثل الشاعر الراحل رشدي العامل علامة فارقة في سفر حركة الحداثة الشعرية العراقية. وتمتلك تجربته خصوصية كونها تقع في الحد الفاصل بين تجربتين حداثيتين، هما: الحداثة الخمسينية، والحداثة الستينية. ولذا، لم يخضع الشاعر لعملية تخصص جيلي، وأطلق عليه وعلى بعض أقرانه الممثلين، أمثال محمد سعيد الصكار وصادق الصائغ وحسب الشيخ جعفر ويوسف الصائغ وسلمان الجبور وغيرهم، صفة «الجيل الضائع»، وهو مصطلح مستعار من مصطلحات من النقد الأميركي لا يمكن أن ينطبق على تجارب هذه المجموعة الشعرية، وهو موضوع بحاجة إلى فحص نقدي خاص.

وتتسم تجربة الشاعر رشدي العامل بالتصاقها برؤية رومانسية رقيقة، لكنها تمتلك نزعة ثورية تمردية يمكن أن نصفها بالرومانسية الثورية، فهي تزوج بين منحى غنائي ذاتي متجذر وانشغال بهوم اجتماعية وسياسية وأيديولوجية. ولذا،



وحدوسه، فهي بمثابة حقل تعبير يقرأ من خلاله الشاعر العالم اللغة، والوطن، والحزب، والغائب، فمفردات مثل «بوح، أشم، الحديقة، النهر، الحب، الولادة، الكأس، شراب، الدجى، النسيان، وغيرها» تنطوي في سياق التمثيل الشعري على إحياءات لعلاقة الشاعر المضطربة بالآخر، إذ تبدو القصيدة كأنها نداؤه الشعوري، أو رسالته إلى غائب ما، أو تلوينه لرغبة غائبة بحميمية في الروح، أو اعتراف للأخر الذي يحضر عبر سكنى الاستعارة، أو عبر السؤال الذي يستأنف معه لذة الحضور.

البنية الإيقاعية في قصيدة العامل تتركس في اشتغالها العروضي تمثلها لرومانسيته، ليس بتركيبها الصوتي فقط، بل بإحياءاتها التي تتجانبها ثنائية الوجود والحلم، فهو يكتب عن الضياع بصفته وجوداً منتهكاً، ويكتب عن الحلم كأنه تأويل للضياع الذي يمزقه، وبما يجعل لغته الشفيفة أكثر اشتباكاً بالإيقاع، وبالندرة التي تستبطن صوته الداخلي.

وأحسب أن كتابه الشعري «حديقة علي» هو أكثر كتبه تمثيلاً لفكرة «الانتماء الشعري»، وحتى لخصوصية تجربته الشعرية التي ظلت بعيدة عن التجريب والمغامرة، وكأنه يوحي من خلالها بأن نزعة الرومانسية في الكتابة ظلت هي المقابل النوعي للقصيدة الشخصية، القصيدة المشبوكة بالحياة والحلم والحرية، والتي لا تحتلها القصيدة الثورية الصائحة التي انحاز إليها كثيرون من شعراء الراهية، كما سماهم فوزي كريم.

– الشاعر ميثم الحربي: سوناتا للوحدة تجربة رشدي العامل تجربة إنسانية أدبية متميزة، ومورد تميزها في مسيرة الثقافة العراقية بين الخمسينيات والستينيات أنها اختارت لنفسها سلوك الطريق الثالثة في ارتياد الحياة المجازية.

وأقصد بالطريق الثالثة ذلك الاتجاه الشعري الذي سار عليه العامل عبر ثمانية دواوين نشرت بين عام ١٩٥١م وعام ١٩٩١م، حيث صدر ديوان «الطريق الحجري» بعد وفاته، إذ بقي مضمغياً مجذوباً لأصالة التجربة الفردية، نائياً بنفسه عن خطرين كانا يهددان على الفعالية الشعرية الكلية لمجاليه من الشعراء الرواد، وما بعدهم أيامئذ، وهما: خطر التاريخ الأيديولوجي من جهة، وخطر التاريخ البلاغي من جهة أخرى.

ويمثل المنجز الشعري لرشدي العامل مرآة تعكس صروف الدهر والمرآة والمحطات التي دهمت حياة الشاعر، فقد كان أميناً أمانة صمدية في تصعيد صوت البسالة الفردية داخل السبيح الشعري. ورغم أن للشاعر تصريحات ثقافية تصف أعماله الفنية بأنه «شاعر رومانسي»، مع تأشيرته نقدية بأنه «شاعر غنائي»، فإن الحال يحتمل توجيهها مغايراً أحده: لقد كانت مسيرة الشاعر رشدي العامل شاقّة، حياة وفناً، فهو –عندي– امتداداً لتجربة الشاعر علي الشرقي (١٨٩٠-١٩٦٤)، ويشكل مع حسين مردان محطة مهمة لتمثيلات الشعر الذاتي، نجد حضورها واضحاً لدى الشاعر فوزي كريم على أتم صورة. ومن خصائص شعر العامل، يمكن القول إن الكائن الشعري الذي يرسمه فؤاده الإنساني يبدو بطلاً سردياً تحاول الأداة الشعرية صياغة ملاحظه، والكشف عن حكايته الفردية التي تتحرك بين عواطف وأفكار من خلال الاستعانة بطرق بناء مختلفة.

لشكل كتابي (الغنائية الشعرية) رسّخه في مجموعاته الثلاث الأولى، غير أن انتباهته اللاحقة نحو الحكمة والحكاية الأسطورية والشعبية جعلته يفتقد عن هذا الشكل، فضلاً عن انهماك في الترجمة وقصيدة الحرب «التعبوية».

< عيسى الياسري كان قريباً من «غنائية» ميّزت شعره، ولكنها ظلت «غنائية ريفية»، غير تلك الغنائية العميقة ابنة المحنة المعاصرة التي تفرّد بها الراحل العامل.

< ومن الشعراء الذين كانوا خارج البلاد حين رحل العامل، كان الشاعر المجيد فوزي كريم قريباً للغاية من «غنائية» شعرية كانت متفوقة بقدرتها الفكرية واللغوية حتى علي ما أنجزه العامل، لكن صاحب «أرفع يدي احتجاجاً» لم يواصل هذا المعنى، ولا الشكل، ومثله أيضاً هاشم شفيق الذي كان مؤهلاً باقتدار لمواصلة شكل غنائي تميزت به مجموعته الشعرية الأولى.

– الناقد علي حسن الفوزان: القصيدة بصفتها استعادة الغائب

اشتغالات رشدي العامل الغنائية ليست بعيدة عن هاجس تأثره بالنزعة الرومانسية، وبالحنسية التي ظلت توظّر قصائده، وكأن تمثله للغناء الشعري معادل نفسي ثوري، حيث أزمته الوجودية، وأحاسيسه المضطربة، وهوسه بالفقد، وحيث صور الوطن – الحلم، وشغف الحرية، وهي إحالات تعكس نزوعه للرّمزية، بصفتها تمثيلاً استعدياً للغائب الذي يحضر بقوة في القصيدة، أو بصفتها إسقاطاً نفسياً لعلاقته بذلك الغائب، حببياً كان أو وطنياً أو معنى يتطلب نوعاً من التواطؤ الاستعاري.

والفصاحة الرومانسية قد تكون علامة مفارقة للشاعر «خميني» أشبعته الأيديولوجيا والثورة والحرية كثيراً من الصخب، أو التمثيل الشعرائني للواقع، لكن خصوصية رشدي العامل في كتابة قصيدة «الخفة» الغنائية ظلت أكثر اقتراباً من هواجسه

فتجربته تمثل من جانب آخر موازنة بين تلقائية التعبير الرومانسي والصفة الشعرية الواعية التي لا تصل إلى مستوى «التصنع» والتعقيد.

كان رشدي العامل عاشقاً للحياة مؤمناً بالمستقبل، وكان يعشق كل مظهر من مظاهر الطبيعة، لكنه كان أيضاً يطيل التأمل في جواره المتصل مع الزمن والموت، إذ تنبأ في قصيدة «رجل الأحزان» بموته: «غدا إذا جاء رهيف الخطى

قولوا له
قد رحل الراحل...».

– الشاعر علي عبد الأمير عجام: لون شعري عميق ظل الشاعر الكبير رشدي العامل نسيجا وحده، ولم يواصل أحد من شعراء العراق (داخل البلاد)، رغم عددهم الكبير وزحمة أجيالهم، لونه الشعري العميق لأسباب جوهرية، منها:

< صعود «قصيدة النثر» إلى حد بدأ طغياً بعد رحيل العامل، وعلى نحو صار فيه كثير من شعراء البلاد يعضون إلى هذا الشكل الكتابي.

< اندراج كثير من الشعراء الذي حافظوا على الوزن في نتاجهم ضمن نشاط كتابي لا صلة جوهرية له بروح الشعر، فهم ذهبوا إلى مديح السلطة والديكتاتور حتى سقوطهما في ٢٠٠٣. وحتى الجيل التسعيني في الشعر العراقي الذي ظهر من بين أسماؤه من اهتم بالوزن و«الغنائية» سقط في فخ المديح والتكسب إلا في حالات نادرة لم تتأثر بشعر صاحب «حديقة علي»، بل كانت أقرب إلى شاعر المديح الأول عبد الرزاق عبد الواحد.

< كان يوسف الصائغ أكثر الشعراء مقدرة في الحفاظ على «غنائية» قد تبدو متصلة بشعر العامل في جوهرها، لكنه انفصل عن هذا السياق لصالح كتابة خارج الشعر (المسرح خاصة)، فضلاً عن كتابة شعرية «وطنية» بدت متوافقة مع نهجه في تأييد السلطة وانتظامها في مفصلها.

< مثل الصائغ، كان حسب الشيخ جعفر مؤهلاً

العذاب السعيد أو: جنات رشدي العامل



حاتم الصكر

أن اركض في الحارة
- واقعة الموت (يعبر عنها مجازياً هنا بالضمناً أو الجفاف ..)
وحدي شجيرة صبر فاتتها مطر
وخافق متعب جفت حناياهُ
يظل يصرخ من جوع ومن لعب .
إن غاب عن فمه المنهوم ثدياه
وبتعبير مباشر: (زارني الموت | ما ألعن الموت ...)
واقعات لا تنتهي . تنوع لتجد لها معادلاً في الشعر
وما السرير (الذي كُتبت عنه بالعالم) إلا متمماً
للحديقة التي زرعتها علي . وهي حديقة رشدي كما
لاحظ الشاعر حميد سعيد وهو يكتب مقدمة لديوان
(حديقة علي) اسقاطية أخرى في ارتباكات شعورية
يمر بها رشدي . وحين يحدد الشاعر إبعاد عالمه لا
يعسر عليه أن يصير كل شيء شعراً اليافاً بسيط
التركيب ، عالي النبرة ، موسيقياً ، تنتشر معانيه
من أجل حياة قافئته وإيقاعه . لا تقف الإشكال عنده
في حدود ما فالتقليدي والحديث العمودي والحر

١- لكي تصل الى رشدي في سريره الذي تلازم
وإياه في سنواته الاخيرة، فأنت عليك أن تجتاز باباً
لا يغلق على الدوام ثم تعبر حديقة جانبية ستعلم
منه أنها (حديقة علي) ولده البكر (١) التي زرعتها
قبل سفره فصارت عنواناً لديوان رشدي الأخير
واسما لقصيدته الرئيسية ذات المقاطع المتعددة .
و حين يجيء صوته مرحباً مستقبلاً رؤية القادم ،
يكون قد أزاح الغطاء أو أبعده كتاباً فكان سريره
هو العالم . يواجه الخارج وهو مبحر . بحره الشعر
ومياهه الكلمات . الغرفة: كأس وسجائر وصفح
متناثرة وكتب مصطفة دون ترتيب أو مرمية على
الأرض . جدرانها صور ولوحات باهتة وقديمة من
إحداها يطل وجهه فتياً . البورتريت يحاول إحضار
فتوة الشاعر الذي كان ، ويستبق الغائب بمحاولة
حصر حضوره قسرياً عبر ملاحظته الجميلة . ليس
بعيداً عن اليد . ثمة هاتف مشرع لإحضار أي
صديق في أي وقت ، من أي مكان . حين يراني يهز
يده اليمنى التي زادها الوهن والمرض جمالاً وترفاً
ثم إجلس مشيراً إلى أي فراغ حوله : السرير
أو الكرسي . ثم يقول : اسمع هذه القصيدة ويمد
يده تحت السرير أو تحت الوسادة أو يفتش في
صفحات كتاب .. ليجد القصيدة.

حيث تمتد يد رشدي يخرج الشعر . وكنت أدعيه
كل مرة بهذه الحقيقة: إنك تخرج الشعر من أي مكان
حولك . وكان هو لا يفتأ يذكرني بهذه الدعابة كلما
التقينا .

(بالنسبة لي لم تكن تلك دعابه أو طرفه) انني
احس ذلك واعتقده . فيد رشدي لاتبعد عن الشعر
إلا بعدها عن القلم . وهذا هو سر شعريه قصائده
(أو بالأحرى قصيدته . فرشدي لم يكتب إلا قصيدة
واحدة يغنيها بألف صوت وألف مفردة . يهمس
بها أو يصيح بياشها أو يناجئها . لكنها هي دون
سواها .

٢- في نصه تستخدم الواقعات . بل نصه حرب واقعات
استهلكته حياته فأراد أن يأسرها في شعره ليتغلب
عليها بعد أن هزمته . فيبأشها ويحاورها ثم يطلقها
إلى فضاء حرص أن يكون أوسع ما يستطيع . يمكننا
إن نسمي - إن شئنا - بضع واقعات :

- واقعة المرأة :

مجنون من يحسب أن امرأة

تعشقه وحده (٣)

- واقعة الإنتماء:

فالعالم ليس السجن

وأهداب الدنيا بستان

العالم ،ياولدي ،الإنسان

- واقعة الإبن .الغالب :

ياولدي ترحل ؟

ها أنت بعيد

شاهدت أصابعك الملمومة حول الكاس

وعينيك السوداوين

تغيتمان وترتعثان(٤)

- واقعة المرض :

ساقى مشلولتان

لن أستطيع اليوم

المباشر والمرمز أسماء لاتهم رشدي فتراهم يكتب من
هذا وذاك فكأنه شعراء عدة في واحد
٣- في ١٩٨٦-١٩٨٧-١١ يهديني رشدي نسخة من
ديوانه (حديقة علي) وعليها يكتب إهداءً مشاكساً
(أخي حاتم سأظل شاعراً رومانسياً) لقد كان يشير
دون شك إلى مقالتي عنه (غناء الألوان المهاجرة)
حيث قلت ان رشدي قد وجد خطابه عبر نبرة غنائية
وجو رومانسي يؤطر قصائده حتى تلك التي يوهم
القارئ بأنها واقعية (احتكاماً إلى موتيفاتها :
حدث- شخصية- موقف) فهو يختار زوايا ومدخل
ومعالجات تضعه دوماً في (مواجهة) موضوعه
مباشرة فيعلو صوته
ويتجه إلى الخارج مبرزاً ذاته لتكون (بؤرة)
تنطلق منها أشعاعات نصه حتى تلامس الخارج،
لأنها مشدودة إلى مركز بدايتها : الذات . فنائية
رشدي وجدت في المأساة موضوعاً وشكلاً تعبيرياً
متلازمين .

كما أشرت في المقالة ذاتها إلى مناقشة بين وبين

الوميل ماجد السامرائي (٩) . وكان رد رشدي على
السامرائي بعنوان طريف وموح : (نعم ، إنا شاعر
رومانسي)
فهل كانت رومانسيته أمتيازاً أم عيباً ؟ تقليداً
ومحافظة أم خصوصية وهوية ؟
أن الخطاب الرومانسي واضح في شعره . فالقصيدة
، كما أعتز في مناقشاته تلك :
(تتحكم إلى درجة العذاب . تمزقني . تغري عروقي
 . وأحياناً تتعطف علي فأحبها في الحالين .)
قصيدته أستجابة لحالة . ورود العناصر مايشتمل
عليه خطاب رشدي من مفردات مأساوية ، وضغط
خارجي تنوء منه القوائد . ولقد كان رشدي يخاط
نلك كله بحاسة غريبة كان (يشم) الألوان كطائر
الذي يقول عنه :

الطائر المذبوح

يشم لون عشه

فستغنيك الروح (١٠)

٤- في آخر مقابلة معه قبل موته ، يتحدث رشدي عن
(وجه أمه) واحداً من رموزه المتكررة . ثم يروي
فجأة واقعة حياتية عن أمه التي قالت له قبل أيام :
أن الأبناء يأخذون أمهاتهم إلى المتنزهات والمسارح
 . أما رشدي ففضيلة أنه لم يترك سجنًا أو مستشفى
لم يرني إياه)

حياته مغطس بجر من حوله إليه . وتلك كانت حدود
عالمه . مكانه فوق السرير أو بين الجدران
كتب قصيدة (رمال المرفأ) وهي مهداة إلى صديقه
الشاعر محمد سعيد الصكار وقد حذف الإهداء في
الديوان . لاتقول سوى جملة واحدة عبر أبياته
المتعددة : (لم أسمع بباريس . لاأئنسي لأعرف إلا
مكانني هنا مكاناً .) فالمكان عنده مقدس .

كثيراً ما تحسر وهو يدخل حديقة اتحاد الأدباء
ببغداد . ففي نهاية الممر الصغير ، حيث تكس
الأ أن الصناديق الفارغة والأشياء القديمة ، كانت
الزاوية المخصصة لرشدي وشباب الشعراء حين
تأسس اتحاد الأدباء لأول مرة .

كان أسمها (المرفأ) . واتفق الأصدقاء أن يضعوا
الأسم فوق إصداراتهم الشعرية .

ماذا حل بالمرفأ ؟

مطابقة أخرى بين واقعة خارجية وواقعة شعرية .
أن مفردة (المرفأ) وتنويعاتها هي أكثر المفردات
إلحاحاً في شعر رشدي . فقد كان يرى العالم جراً
... والسعادة مرفأ لاتصله السفن إلا غرقاً أو
محطمة .

يعادل ذلك (الضمناً) .

حالة أخرى عاشها رشدي ووافق تشخيصها ما ذهب
إليه الزميل السامرائي في دراسة عنه . فهناك ترميز
للضمناً عبر (كأس بلا شارب أو فانوس بلا ضوء أو
قاع نهر يابس ...) وفي قصيدة مهمة هي (سونانا
للوحدة) يتماهى مع تلك الصور ويؤكد حالة الضماً
التي عبر عنها :

وأنا ضوء الفانوس

وحارس نصف الليل

وقاع النهر اليابس

وطفل ضيع طعم الثدي

والكأس يغادرها الشارب

الشارب المغادر هنا يترك ضله في الكأس الفارغة .

فيغدو ضمناً الشارب ضمناً الكأس نفسها هكذا يلتقط

رشدي (ثيمات) الشعرية

مقدمة ديوان رشدي العامل "الطريق
الحجري"



عن رشدي العامل .. الأمير بعكازه المذهبة



سويغات ستكون الاحتفالية التأبينية؛ ووسط التخاضل الذي شهده أراد ان يطمئن بشكل نهائي على الاسماء المشاركة لترتيب كلماتها. قلت له : ليلة أمس بدأت بقصيدة وسأكملها قبل الموعد بالتأكيد؛ طلب مني ان يسمع شيئاً منها؛ فقرأت له ما كتبت.. واذا بـ(ابو ليث) يقول لي بالحرف الواحد يا جواد (انت معني من المشاركة).. "معقول؟"!!

نذت صرختي عبر الاسلاك، فأجابني : "نعم، لقد خسرتنا الكثير يا ابو الجود - هكذا كان يسميني - ولا نريد ان نخسر؛ فما قرأتها لي مرعب !!

جدال طويل دار بيني وبين سيد الوفاء لأصدقائه فهد الاسدي؛ انتهى بأن يسمع قرارى المؤكد وهو "يجب ان اقرأ"، واذا لم يُسمح فسأنهض وسط القاعة وأقرأ القصيدة !!

في الوقت المتبقي لي من الذهاب، جاء مقطع القصيدة الأخير، يسابقني الى امسية الفنانين التشكيليين:

(..الله يا رشدي / يا صديقي الذي قلده الحكومات أرفع معتقلاتها/

في الآخرة لا تكن اشتراكيا / لا عليك، وحقوق من يشتغلون في الجنة او في النار /

فلقد اصبحت شيخاً ؛ ولن تعينك "عكازك" على "نش" ذباب الشرطة عن وجهك .

غورباتشوف تنازل عن لينين / والثورة الاممية؛ تباع بياناتها للذكرى / لسنا سوى "حروف مصحح"

اما العناوين الكبيرة : فللعاهرات وابناء رؤساء الدول !!! للمرة الاولى - لعله - يحدث تصفيق في مجلس تابين ما؛ فقد امتلات قاعة الفنانين التشكيليين بالتصفيق وطلب الاعادة..

لاختم: (..كم عمرا يحتاج الكون.. ليولد شاعر / كم نبعنا تحتاج الارض.. لتخلق نهرا / كم وطننا .. نحتاج -

لنستوعب طفلا مثلك : رشدي)..

××× القصيدة نشرت فيما بعد في ديوان (ششاء عاطل - عمان ١٩٩٧) وللتاريخ فان من تمرد على اعتراض قادة اتحاد الادباء (ويومها كانوا قوة سياسية وأمنية ضاغطة لا يستهان بها)، هو الناقد الكبير ياسين النصير الذي تولى ترتيب القراءات، مثلما قرأ نصاً رثائياً راقياً، وكذلك القاص والروائي عبد الستار ناصر؛ واسماء اخرى لا تحضرني الآن، لكن من المؤكد ان ذاكرة "النصير" الشبابية تحتفظ بها..

استذكر رشدي، وأستذكر "الأسدي" وكيف كان عزاب واحدة من اصعب الفعاليات الثقافية واكثرها دفئاً

الى رشدي!! وبالنالي لن اخذل فهد الاسدي في تحديته لمن منع اقامة الحفل التأبيني لرشدي، وأكون سندا في هذا التحدي. لكن طيف رشدي لم يقبل بهذا الحل، وطالبني بقصيدة تخصه وحده ومن كتابتي انا، وليس من أي شاعر آخر. في الليلة التي تسبق الامسية، ولد عنوان القصيدة : (ورقة من تقرير شرطة المقابر.. ليلة دفن الشاعر؛ رشدي العامل)!!

ثم انهمر مقطعها الأول : (.. ما أن غادر المعزون المقبرة / حتى نهض "المدعو" رشدي العامل / وتفقد بيته الجديد /

كان بلا اثاث ؛ ولا موائد للكتابة ؛ فانتظر مجيء الليل / ليحصي : كم قتيلاً يمتد بين الكلاشكوف والشعر).

وبما يشبه الحمى جاء المقطع الثاني بنفس التدفق؛ وكأن جرحاً من مكان خفي قد انفتح في داخلي. لأن كتبة التقارير الذين تابعوا رشدي الى المقبرة؛ حاصروني أنا هذه المرة : (.. واذا انتبه "المدعو" رشدي العامل / لعيون تتقفى آثار خطاه؛ حتى قرفص؛ وكأنه يهجم بقضاء قصيدة / ثم تسلل الى اقرب قبر؛ ليؤسس : تنظيمياً سرياً لفقراء الموتى) !!

× اتعبنى هذان المقطعان بشكل لا يوصف؛ فقررت ان اخذ استراحة وجه الفجر؛ واكلها عند استيقاظي . في الصباح صحوت على هاتف (كانت الهواتف أرضية) من فهد الاسدي؛ فبعد

كنت عسكرياً مجنّداً يوم سمعت خبر رحيله، وكان الوقع عليّ اشدّ من وقع الهاونات.

في اجازتي الدورية بعد أكثر من شهر، اتصل بي الصديق والقاص الكبير(فهد الاسدي) وأخبرني أن تأبينهم لرشدي في اربعينيته قد رُفض من (قيادة) اتحاد الادباء - وقتذاك- وعليه فانهم سيقومون الفعالية في جمعية الفنانين التشكيليين،

واضاف بحزن - : للأسف، أغلب الأدباء الذين كانوا قد سجلوا أسماءهم للحديث عن رشدي قد تنصلوا من الالتزام، بعد ان تنهى اليهم موقف الإتحاد؛ ولم يبق سوى متحدثين على عدد الاصابع، وأريد ان تشارك اذا كانت اجازتك لم تنته بعد؟

- "اكيد" قلت لأبي ليث بصوت عال صرخ كل ما في داخلي؛ رشدي .. صديقك.. الأمير بعكازه المذهبة التي كان يهش بها المتطفلين على مائدته.

كان أمامي وقت ضيق ولم استطع كتابة اي شيء منذ أن وعدت الأسدي بالمشاركة، والموعود يزحف نحو "الأربعينية"؛ ومزات يكون الأشخاص أو تكون الاحداث أكبر من أصابعك.. أكبر من كلماتك وتاريخك القرآني والكتابي، فلا غرابة ان يكون الإرتباك سيد الموقف..

مرّ يوم، وأخر، وعربة الاحرف لم تتحرك قيد انملة؛ وأهدائي حرجي الى حل قد يكون مخرجاً عن الكتابة ويشفع لي بالمشاركة؛ وهو: ان الشاعر "سعدى يوسف" كان قد كتب الى رشدي قصيدة منشورة في مجموعته الشعرية الكاملة بجزئها الاول؛ لذلك قلت مع نفسي سأصعد المنصة واقول : "ان ابن البصرة الاخضر بن يوسف قد كلف ابن بصرته الحطاب أن يقرأ نيابة عنه قصيدته المهداة

الى رشدي!! وبالنالي لن اخذل فهد الاسدي في تحديته لمن منع اقامة الحفل التأبيني لرشدي، وأكون سندا في هذا التحدي. لكن طيف رشدي لم يقبل بهذا الحل، وطالبني بقصيدة تخصه وحده ومن كتابتي انا، وليس من أي شاعر آخر. في الليلة التي تسبق الامسية، ولد عنوان القصيدة : (ورقة من تقرير شرطة المقابر.. ليلة دفن الشاعر؛ رشدي العامل)!!

ثم انهمر مقطعها الأول : (.. ما أن غادر المعزون المقبرة / حتى نهض "المدعو" رشدي العامل / وتفقد بيته الجديد /

كان بلا اثاث ؛ ولا موائد للكتابة ؛ فانتظر مجيء الليل / ليحصي : كم قتيلاً يمتد بين الكلاشكوف والشعر).

وبما يشبه الحمى جاء المقطع الثاني بنفس التدفق؛ وكأن جرحاً من مكان خفي قد انفتح في داخلي. لأن كتبة التقارير الذين تابعوا رشدي الى المقبرة؛ حاصروني أنا هذه المرة : (.. واذا انتبه "المدعو" رشدي العامل / لعيون تتقفى آثار خطاه؛ حتى قرفص؛ وكأنه يهجم بقضاء قصيدة / ثم تسلل الى اقرب قبر؛ ليؤسس : تنظيمياً سرياً لفقراء الموتى) !!

× اتعبنى هذان المقطعان بشكل لا يوصف؛ فقررت ان اخذ استراحة وجه الفجر؛ واكلها عند استيقاظي . في الصباح صحوت على هاتف (كانت الهواتف أرضية) من فهد الاسدي؛ فبعد

كنت عسكرياً مجنّداً يوم سمعت خبر رحيله، وكان الوقع عليّ اشدّ من وقع الهاونات.

في اجازتي الدورية بعد أكثر من شهر، اتصل بي الصديق والقاص الكبير(فهد الاسدي) وأخبرني أن تأبينهم لرشدي في اربعينيته قد رُفض من (قيادة) اتحاد الادباء - وقتذاك- وعليه فانهم سيقومون الفعالية في جمعية الفنانين التشكيليين،

واضاف بحزن - : للأسف، أغلب الأدباء الذين كانوا قد سجلوا أسماءهم للحديث عن رشدي قد تنصلوا من الالتزام، بعد ان تنهى اليهم موقف الإتحاد؛ ولم يبق سوى متحدثين على عدد الاصابع، وأريد ان تشارك اذا كانت اجازتك لم تنته بعد؟

جواد الحطاب

«

ارتبطت بعلاقة صداقة حميمة مع الشاعر الرقيق حدّ ان لا يرى : رشدي العامل، فقد كنت اذهب احيانا - منتصف السبعينيات- الى مطبعة جريده (طريق الشعب) في بارك السعدون، الذي أصبح - فيما بعد- مقرا للأمن العامة، فأجده على هيئته التي سأعرفه بها دائما، اميرا بسيطا محاطا بالرفيقات والرفاق من عمال المطبعة، كنت يومها هاويا للشعر أبحث عن نجومه للإفادة من ملاحظاتهم، حتى اذا تدرّج الزمن بتجريبي وصار لي اكثر من اصدار، وأكثر من مسؤولية مهنية في المنتديات والروابط الادبية، ازددت التصاقاً بـ(ابو علي) العذب الذي لا يمل ولا يمل من الضحك وتدبير المقالب، المقالب البريئة لأصدقائه .

»

رشدي العامل.. سوناتا للوحدة!

ميثم الحربي



رشدي العمل "١٩٣٤ - ١٩٩٠م"، شاعراً وشِعراً: تجربة إنسانية وأدبية مُتميزة؛ وموردٌ تميّزها في مسيرة الثقافة العراقية بين الخمسينيات والستينيات أنها اختارت لنفسها سلوك الطريق الثالثة في ارتياد الحياة المجازية.



"طريق ثالثة"

وأقصى بالطريق الثالثة ذلك الاتجاه الشعري الذي سار عليه العامل عبر ثمانية دواوين نُشرت بين عام ١٩٥١م، وعام ١٩٩١م حيث صدر ديوان "الطريق الحجري" بعد وفاته.. إذ بقي مُصغياً ومجنوباً لأصالة التجربة الفردية، نائياً بنفسه عن خطرين كانا يُهيمنان على الفعالية الشعرية الكلية لمجاليه من الشعراء الرواد وما بعدهم أيامئذ، وهما: خطر التاريخ الأيديولوجي من جهة، وخطر التاريخي البلاغي من جهة أخرى.

"في البسالة الفردية"

ويمثل المنجز الشعر لرشدي العامل مرآة تعكسُ صروف الدهر والمرائر والمحطات التي دهمت حياة الشاعر؛ فقد كان أميناً أمانة صمدية في تصعيد صوت البسالة الفردية داخل النسج الشعري. وعلى الرغم من أن للشاعر تصريحات ثقافية تصف أعماله الفنية بأنه "شاعر رومانسي"، مع تأشيريات نقدية بأنه "شاعر غنائي"، إلا أن الحال يحتمل توجيهها مُغايراً أحده عبر النقاط الآتية:
إن المرحلة التي وُجد فيها العامل - مرحلة ما بعد الرواد - كانت تضغط بمهيمنا لا مناص للشاعر إلا أن يستجيب لها حتى كأن الأيديولوجيا باتت كما لو أنها منحة وجدانية وجد فيها مجابلو العامل ضالتهم الفنية ورثتهم المجازية، بينما الشاعر منذ ديوان "همسات عشوت" عام ١٩٥١م قد وضع نفسه في مُناوئة دائمة ضد القوى الموقفية الضاغطة، وانتهج سبيل الطيران خارج السرب.

إن توصيف شعر العامل بأنه "رومانسي" أو "غنائي" لهو توصيف يسقط من مِزاج المرحلة النقدية السياسية. وهذا التوصيف ينطوي على شحنة نيز مستورة بأن الشاعر ضعيف في وعيه السياسي ولا يستطيع مُحاوره قضايا الشأن العام التي يربطها أو يُغطيها أغلب مجاليه. وأرى في هذا الجانب أن الغنائية لا تعني هنا سوى "الفردية" وهذه نزعة مُضادة واحتجاجية لا يمكن أن تتقبلها صالونات الشعر والنقد العراق الأيديولوجية.

في مراحل الإصغاء للتجربة الشخصية، يعني في ما يعنيه توجيه أيديولوجيا الفرد مقابل أيديولوجيا الجماعة. وهذا ما كان في شعر رشدي العامل في كل دواوينه؛ فهو - برأيي - ابن للدولة الاجتماعية وليس ابناً للدولة السياسية التي نشأت بعد عام ١٩٥٨م. إذ إن الدولة الاجتماعية لم تفرض على المجتمع صبغة أيديولوجية كما فعلت الدولة السياسية في ما بعد وفُرقت اتجاهات الشعر إلى حقول سياسية مختلفة ومتناحرة.

"مدرسة الذات"

لقد كانت مسيرة الشاعر رشدي العامل شاقة حياة وفناً؛ فهو - عندي - امتدادٌ لتجربة الشاعر علي الشرقي "١٨٩٠م - ١٩٦٤م"، ويُشكل مع حسين مردان محطة مهمة لتمثيلات الشعر الذاتي، نجد حضورها واضحا لدى الشاعر فوزي كريم على أتم صورة. ومن خصائص شعر العامل، يُمكن القول: إن الكائن الشعري الذي يرسمه فؤاده الإنساني يبدو بطلاً سردياً، تحاول الأداة الشعرية صياغة ملامحه، والكشف عن حكايته الفردية التي تتحرك بين عواطف، وأفكار من خلال الاستعانة بطرق بناء مختلفة.

من قصيدة له بعنوان "سوناتا للوحدة" يُنشد الشاعر:
"وأنا ضوؤُ الفانوس
وحارسُ نصف الليل
وقاع النهر اليابس
وظل ضيغ طعم الثدي
والكأس يُغادرها الشارب".

فأرجو ان تترجم الى اللغة العربية العظمى وان تنشر في مجلة سيادتكم وفي حالة التعذر، بسبب أية صعوبة يرجى اعادتها لي كيف استطيع تدبير لقاء معكم وأعرف ان وقتكم ثمين جدا ايها السيد المدير



وحميمية.. ومغامرة..
ما لا يعرفه الجميع، وها انا الان اقله هنا للمرة الاولى؛ بعد الامسية تقدم باتجاهي احد الاشخاص وقال لي بالحرف الواحد (انا ضابط الامن الذي كلفته الدائرة بحضور الفعالية وكتابة تقرير عنها، وقد اعجبني قصيدتك.. واريدها)..

مثل هذه الحوادث لا تنسى؛ قلت له: بالتأكيد ان اكثر من واحد من جماعتكم قد سجل الامسية كلها وعليه سأعطيك القصيدة وبتوقيعي بشرط ان لا تكتب في تقريرك ما يضر بأحد المشاركين، اما بالنسبة لي فهي قصيدتي وباسمي ولا يمكن نكرانها؛ فوعدي الضابط بذلك، ثم غادر القاعة وسط قلق ظل يراودني لأيام.

ولأمانة اذكر: ان لا أحد منا قد استدعي الى الامن او المخبرات بسبب المشاركة في هذه الامسية، على الرغم من ان ما قيل فيها كان كلاما ربما لم تسمعه الدولة من أدباء الداخل.. لم تسمعه علنا من قبل..

وهو ما عزز يقيني بان الرّجل، أي رجل هو "كلمة" سواء كان ضابط أمن او رجلا بسيطا.

إيضاح بشأن الرسالة المرفقة، والتي تنشر لأول مرة ..

كان رشدي يزورني أحيانا في "منتدى الأدباء الشباب" بمنطقة الطالبية الواقعة على "قناة الجيش" حيث كان مقر "مجلة أسفار" فيه.. مرة زارني وترك احدي قصائده، لكن تأخر العدد حال دون نشرها بما وعدته به من نشر قريب. فمرّ علي بعد فترة وترك هذه الرسالة - بخط يده، وبطريقته المازحة المشهور بها: (السيد مدير تحرير أسفار وفقه الله ..

كنت قد بعثت لسيادتكم قصيدة متواضعة منذ أواخر القرن التاسع عشر وهي قصيدة ترجمت - وقتها - الى اللغة السنسكريتية كما عُنيت بلغة الأي أي ..



«

نستطيع أن نتبين الدوافع والأسباب التي جعلت من شعراء الخمسينات والستينات يختلفون فيما بينهم في رؤاهم الخاصة للعالم، وفي مواجهتهم للواقع، إذا نظرنا للأطر الثقافية التي تنتمي إليها كل مجموعة فيهم، وان كانت هذه الأطر لا تتسم بالجمود، وتحتمل التغيير أو التعديل، فهي تبدو متشابكة فيما بينها بوشائج وروابط متينة، على الرغم من أوجه الاختلاف القائمة بينها.

»



قصائد رشدي العامل.. كلمات تولد في معبد الجمال

رشدي العامل.. المقيم في فردوس الجمال



د. جمال العتابي

وتنمو مع كل مقطع جديد من قصيدة العامل.

أنت لا يأخذك الحزن

على ما مات من أشجار ماضيك

ولا يفرحك القادم من عمرك

أنت اليوم حر

بين كفيك غصون الأسي

في عينيك أقطار

وفي صدرك سر

أنت لا ترتقب ما يأتي

ولا تبكي على ما مر

إن الدمع مر

وللبحث عند الشاعر ورموزه الحسية مدى بعيد،

يمر عبر أغصان الذكرى، وجدران النور، من بلاد

إلى بلاد :

قمر يشحب في عينيك، والنجم تغور

ملء عينيك، وفي جبهتك الشقراء بيد

أه، ماذا ابعث الليلة

قد نمت طويلا

الصب يكافح من أجل بقائه، عبر أبيات القصيدة،

سائرا على الخيط الدقيق الممدود بين النور والظلام

بين الحياة والموت، عمق الشاعر، صدق التجربة

المرفوعة بثقافات إنسانية.

أتردين إن الضحية قلبي،

وجلادي الحب؟

من كان جلاده الحب لا يستحيل

إلى دمية، فعيون القتيل

زهرة، نبع زيت يغازل ضوء القليل.

إن رموز العامل في صورته الشعرية، هي مصائر

الإنسان في تطلعاته العليا، تأتي عبر أبنية شعرية

داخلية الإيقاع، ممددة بطراوة الصور، رغم مأساوية

الموضوع الفاجعة، لكن اغراس الورد في تلافيف

من أجل ربيع الإنسان الجديد، تتوهج في ثنايا

غناء العامل المتعددة الأصوات والشاعر يوحى

بذلك إحياء رائعا في قصيدة (العيون والموت عام

١٩٥٩)

وكان الموت، لن يطفأ في عينيك، ومضة

لن ترى أهدابك السود، عيونه

عبئا مخلبه يمتد

أو ترنو عيونه

لحقول الذهب الأصفر

في وجهك يا بيدر فضة

لقد ارتقى العامل في مجموعاته الشعرية العديدة

إلى ذرى من قيم التعبير عن قضايا الإنسان، والعالم

المعاصر، النفسية، والوجدانية، والنضالية، بلغته

الشعرية التي أبدعها بذاته من عناصر جمالية،

وفنية :

يا مبحرا في ضباب القصيدة

نأيت وتبقى القرابة بينك والبحر

محض افتراء

فلا أنت ترنو ،

ولا البحر يأتي إليك.

الشاعر رشدي العامل، اختار الشعر ليكون مظهرا

من مظاهر حياته، أو هو كيانه ووجوده، وان

تعددت له اختصاصات أخر، تفوق فيها وأجاد، لما

يمتلكه من أدوات ومهارات ووعي . فهو الصحفي

اللامع الذي شغل مهمة إدارة الشؤون السياسية

العالمية والعربية طيلة فترة عمله في جريدة (طريق

الشعب) التي صدرت عام ١٩٧٢، حتى أواخر أيام

صدورها في مطلع عام ١٩٧٩، وظل يواصل العمل

بإصرار يستحق الإعجاب والتقدير، وفي ظروف

غاية الصعوبة. تمثلت بمحاصرة مبنى الجريدة،

والضيق على العاملين فيها من قبل أجهزة السلطة

الأمنية القمعية، وملاحقتهم، واعتقال العديد من

كوادر الجريدة بغية إيقاف صدورها . بعد أن

انهارت العلاقات (الجبهوية).

وتتلذذ على يديه مجموعة لامعة من المحررين

الشباب، من أبناء ذاك الجيل، وتعلموا من خبراته

الصحفية والمهنية، ونهلوا من تجاربه في الكتابة

والتحليل، مما أهل أولئك أن يتبوأ مكانة مهمة

في الصحافة، والوسط الثقافي، واخذوا فيما

بعد دورهم الطليعي في قيادة مؤسسات صحفية

وثقافية وفكرية في الخارج، بعد أن اشتد ذراع

السلطة القمعية . فاختاروا النفي والغربة.

والشاعر رشدي العامل، درس الأدب، قانوني لم

يكمل دراسته في كلية الحقوق، درس في جامعات

دمشق، والقاهرة، وبغداد، وتفرغ للكتابة والأدب

والشعر، لم ينساق لهوى الوظيفة، وقبورها

الجائرة، التي تقتل الإبداع، وفضل أن يكون حرا

طليقا على الدوام وحيدا:

وحيدا مع الليل، والذاكرة

غريبا أجوس الدروب

وأناى عن الشفة الماكرة

وارحل بين الخطى العابرة

××

هل تحلم بالجزر المنسية

يا رجلا عاقته الأشربة البيضاء

وغادره المركب والبحار

اكتسب رشدي بمعرفته القانونية، الموضوعية

في الأحكام والحصافة في الرأي، والثاني في

اتخاذ القرارات، والعدالة في المواقف والصداقات،

والحزم والجرأة في مواجهة المصاعب، وبسبب

هذه الامتيازات في شخصية رشدي، تعرض

لصنوف العذابات، من سجن واضطهاد وخسارات

. لما تحمل كلماته من طاقة في الصدق والإخلاص

والصراحة والمقاومة، فكانت كلماته تولد في

معبد الجمال، وتنبعث مضيئة دافئة . تمنح الأمل

للملايين.

اعرف إن الإنسان

لا يعرف إلا ما تمنحه العينان

اعرف إن الدرب طويل، والصبر قصير

والجسر النسيان

شاعرية رشدي، شاعرية ضخمة، ذات مذاق إنساني

خصب بنسيج فني خصب، قصائده حارة متفجرة،

وحوية هائلة، ليس فيها ذرة من الغفلة، أو راحة

للفتور، انه ينتفض ويبتلى بالرغبة في الحياة

والتحرق من المأساة، غنائية أصيلة، تنبع من إيمانه

بقضيته التي تحميه من السقوط في فخ الخطيئة

والضوضاء الشعرية الجوفاء، والشعارات

الديماغوجية.

أيهما يتجذر في الأرض ،

ضفائر شعرك، أم كلماتي ؟

أيهما يرقص أبهى ،

عينك ووجهك، أم قلبي الأخضر ؟

إن أغلب قصائد رشدي، تجمع بين التجربة

الشخصية والقضية العامة معا. برؤية إنسانية

خاصة، فهو يرى الناس والأشياء بطريقة تختلط

فيها كل العناصر، الحب، والوطن والحرية،

والطبيعة، كلها معان تمتاز امتزاجا كاملا .

يرى وطنه من خلال عاطفة الحب الشفافة ويرى

الأرض، من خلال الأم، الحدود بين الأشياء لم تعد

موجودة :

يا وطني، عدت وحيدا

يحملني حبك ،

يملؤني صوتك

أشكو من جرحي المسكين .

كن لي بيتا، قافية

قلبي الجرح، وأنت المبضع والسكين.

شعر العامل، لا يصور عالما معتما، بل هو عالم

مشرق رغم اختلاط عناصره ورؤاه، فتبدو قصائده

نوعا من (الحلم) بوقائع وحواس، إن صح التعبير،

ليصبح الإنسان طليقا بلا حدود، انه حلم يقوم

على فيض الشاعر الحية العظيمة التي تملأ يقظة

الإنسان، وهو حلم رشدي وحده، وهو قصيدته في

ذات الوقت:

تحلم بالبحار

تحلم لو يأخذك القيثارة

للجزر القصية

والمدن المنسية

تحلم بالقصائد، والبحر يرنو منك

والأرصعة المخفية

لكن عينيك تشدان خيوط أهدابك للوسائد.

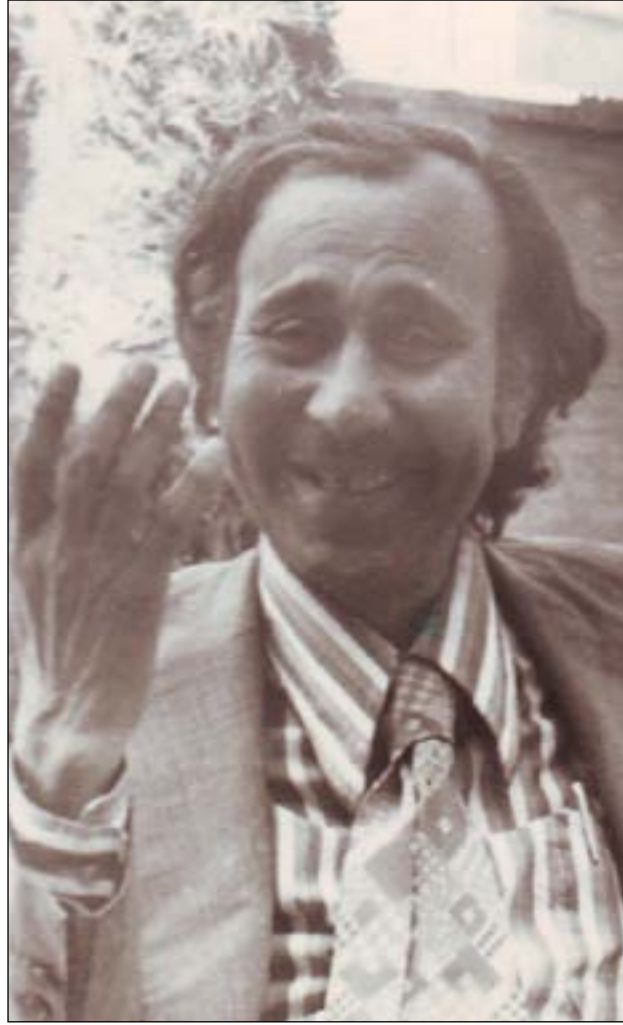
رشدي العامل وشعرية الرومانسية الثورية

فاضل ثامر

“

ما العالم إلا كفان، يد تعطي الخبز واخرى تسرق خبز الناس يحتل الشاعر رشدي العامل مكانة خاصة في تجربة الحداثة الشعرية العراقية، ذلك ان تجربته الشعرية قد نضجت بعد ان اكتملت تجربة الحداثة الشعرية الخمسينية التي اتخذت لها من قصيدة الشعر الحر اداة للتوصيل والتعبير، ومهدت لظهور موجة ثانية من حركة الحداثة تمثلت بتجربة جيل الستينيات الشعري و"البيان الشعري" الذي كتبه الشاعر فاضل العزاوي و وقع عليه ايضا الشعراء فوزي كريم وسامي مهدي وخالد علي مصطفى، ونشر في شهر مايس (أيار) عام ١٩٦٩. الا ان تجربة رشدي العامل وعدد آخر من الشعراء امثال حسب الشيخ جعفر، وصادق الصائغ، ويوسف الصائغ، وسعدي يوسف، ومحمد سعيد الصكار وسلمان الجبوري ظلت خارج هذا التجييل او التحقيب.

”



رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

فوزي كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق



الاجراخ الفني: علي كاوع

WWW. almadasupplements.com

فقط . فتجربة الشاعر رشدي العامل تكشف عن بنية شعرية مثقفة ومدروسة بشكل يقربها احيانا من مفهوم "الصنعة"، كما أن اغلب قصائد تحمل مضامين اجتماعية وثورية تجعلها اقرب الى انصار الواقعية الثورية، وربما الواقعية الاشتراكية كما قدم في ديوانه السبعيني "انتم اولا" قصائد تجريبية : ففي احدى قصائده الموجهة الى ولده (علي) نراه يعيد صياغة قوانين الصرع الاجتماعي والطبقي بطريقة شعرية:

” يا ولدي

ما العالم إلا كفان

يد تعطي الخبز

واخرى تسرق خبز الناس

اعرف ان الارض لمن يحرثها

والارض لمن يزرعها

لكن القمح واشجار البستان

واعناق النخلة للحراس

لكننا نجد من جهة اخرى غلبة التيمات الرومانسية، وفيها الاحساس بالوحدة والغربة والحزن الى الماضي، وعشق الطبيعة، والاستغراق في لحظات عاطفية والانغماس في عوالم الحلم والوهم والخيال.

لقد ظل الشاعر رشدي العامل، على الرغم من رومانسيته وغنايته صاحب قضية اجتماعية وسياسية، ولم يفقد الامل في ولادة فجر جديد تسقط فيه دكتاتورية صدام حسين. إذ ترك الشاعر وصية شعرية يقول فيها:

إذا ما سقط الطاغية

إقرعو ا على قبري ثلاثاً

لأعلم أن ليل العراق الطويل قد إنتهى.

الثقافي والسياسي اليسار اذالك، اتخذت هذه النزعة الرومانسية ملامح "الرومانسية الثورية"، وذلك من خلال الابتعاد عن الاتجاهات الهروبية والانطوائية والرجسية المتطرفة، التي وسمت بعض ملامح الرومانسية الغربية والعربية والبحث عن مقومات ثورية إنسانية منفتحة ومرتبطة بمستقبل الانسان وكفاحه من اجل عالم افضل. وكان الفيلسوف والنقاد الماركسي الفرنسي هنري لوفيفر قد أصدر عام ١٩٥٧ مانيستو الرومانسية الثورية، الذي يرى فيه انه الصيغة الملائمة جالياً، للحركات الغربية المعادية للرأسمالية خارج الشكل الحزبي. كما استخدم المصطلح بنطاق، محدود لوصف بعض الاتجاهات الرومانسية التي تحمل نزوعاً ثورياً أو متمرداً، و ربما يمكن لن نصف رومانسية الشاعر ابي القاسم الشابى بالرومانسية الثورية أيضاً.

لقد ظلت الملامح الرومانسية في تجربة الشاعر رشدي العامل واضحة وذلك من خلال تجربته التي امتدت منذ العام ١٩٥١ حيث اصدر ديوانه الأول "همسات عشتروت" وحتى ١٩٩٠ لكن رومانسيته تطورت هي الأخرى واكتسبت ملامح ثورية متمردة ومنفتحة على الحياة والمستقبل. لكن الجذر الذاتي، الغنائي، وأحياناً النرجسي بقي مهيمناً. كما ان الشاعر نفسه لم يكن ينفي كونه شاعراً رومانسياً، و بعد ذلك من صلب رؤيته الشعرية الخاصة وشكلها بطريقة منفردة تعبر عن شخصيته الشعرية، وتجربته وميوله ومواقفه في الحياة والسياسية والطبيعة.

وأود ان استذكر هنا لأبعد الاعتقاد ان تجربة رشدي العامل بسبب انطلاقتها من مفهوم الرومانسية الثورية بما تنطوي عليه من ايمان بأن الشعر تعبير عن النفس، من انها تعتمد العفوية والطرية والتلقائية

ووصفت هذه الجماعة الشعرية انها تنتمي الى ما سمي بالجيل الضائع وهو مصطلح غير دقيق اجترحه جيرتويرد شتاين ماخوذ من تجربة الادب الامريكي تضم روايين امثال همنغواي وفنزجيرالد ودوس باسوس وغيرهم .

كما ان الشاعر عاش تجربة ثقافية وسياسية متميزة ، قادت الى المنفى (خلال الحكم الملكي) والى السجن تارة اخرى بعد ١٩٦٣. و ارتبط الشاعر بعد ثورة تموز ١٩٥٨ بمجموعة شعرية تضم عدداً من الشعراء الشباب الذين اتخذوا، لانفسهم زاوية صغيرة في مقر اتحاد الادباء بعد تأسيسه، اطلقت على نفسها جماعة المرفأ وكانت تضم عدداً من الشعراء منهم رشدي العامل، ومحمد سعيد الصكار، وحسانى علي الكردي، وسلمان الجبوري وطراد الكبيسي وغيرهم . وكانت تجارب هؤلاء الشعراء تنطوي على نزعة تجديدية، كان يمكن لها أن تشكل مرحلة جديدة في حركة الحداثة الشعرية لولا انقلاب ١٩٦٣، الذي قطع السياق الثقافي المتنامي اذالك. ولا يمكن الجزم ان شعراء المرفأ كانوا يمتلكون ملامح شعرية مشتركة، وذلك ان لكل منهم خصوصيته، وتجربته المنفردة.

وكانت تجربة رشدي العامل تمثل مزاجاً بين منجزات قصيدة الحداثة الشعرية الخمسينية التي اطلقها السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي، والرؤيا الرومانسية التي كانت تجد لها صدئ داخلها في شخصية الشاعر وسلوكه. فقد كنا نلمس في شخصية رشدي العامل تماهياً بين رؤيته الشعرية وسلوكه الشخصي: فهو كائن شعري حساس ومتفجر. لكن رومانسية رشدي العامل، ربما بفضل ارتباطها بحركة الحداثة الخمسينية، وبسبب انتمائه السياسي والايديولوجي وارتباطه بالمشروع

الموعظة.. أو مسألة رشدي العامل

كتبت هذه المرثية لرشدي قبل وفاته بشهر واحد وإثر زيارتي له. كان يسكن في بيت أخيه أو عمه خلف مستشفى اليرموك، وفيما كان يشبه الغرفة بين باب البيت وباب السياج. وهذا ما أشارت له القصيدة. اتصل بي هاتفياً إثر قراءته للقصيدة في الأقاليم. شكرني باعتزاز كبير وأجهش في البكاء.



ياسين طه حافظ



الخُطَا عَجَلَه
مُنْ يَصْدُقُ أَنْ وَرَاءَ تَسَارِعِ إِيقَاعِهَا
هَمْسٌ صَافِرَةٌ
أَوْ صَدَى سلسله؟

الفتى الذهبي
يتوهج في الانتقال من الظل للشمس
فتنبه امرأة في الطريق
وتكسر عن وجهه نظرة خجله.
أوشك أن أصدق الحلم،
فهذا الإشقرُ المسرعُ في الطريق يدخل الجريدة
نارُ الرعاة في عيونه،
فوضى سماوية
تدفعه في ظلمة المبنى الذي أحاطه السحابُ
يقول: "كي أصنع شمسا، أو يقول كي أسمع
موسيقى زمان آخر يجيء أو يقول كي أصطاد
غزاله للعيد،

هكذا يضطرب المسيح بين الحلم والمكيدة
وهكذا يضيع جيل كامل في ضجة المكائن
المعتسرات
كل ليلها تدور،
تصيح كي تسقط حرفاً،
والفتى استهواه ذاك الحلم الغائب مثلها يدور
يمتصه الظلامُ
يمتص ذاك النورُ
يمتص ذاك الولد البلورُ
مستسلماً وساهم العينين يطفو في مياه الليل
ياخذه الضوء الذي يلوح في المرايا،
تأخذه زخارف الماس التي تخبئ البهجة والمنايا،
تأخذه السحائب المذهبات والطيورُ.
رأيتُه في شارع الرشيد
يُشرق فوق شعره قمح سهول ساطعات
والخطوة الحلوة مثل قبره.
رأيتُه في آخر الحديقة
وجهه للشبابك

ينامُ والمسجل الصامت والجريدة:
ظهيرة ودبجة نائمة في الظل
تعبه وخوفه
ناما الى جانبه عكازه من خشب،
تبيس الشرطي،
عند رأسه!

رشدي الجميل اختطفته "ساحرات سالم"
أبقى قميصاً أبيضاً، وضيعته الريح والظلال
ممدد يغفو على فراشه، نام و"أحلام الشتاء"
وحدها تدور في الغرفة، نام، بقي المصباح،
ما أطفاه أحد،
يحرص وجه رشدي.

هذا صباح آخر. يدخل في الضجيج،
يدخل في المطبوعة، المعتقل، الحقائق المرة والكذب،
يدخل في الظلام.

يرى ولا يرى
منخدلاً، أضاع بالضحكة ما لاح على خاطره
- "نهر بلا إياب"
- "كان فتياً لفة العباب"

أم علي وجهها يدور قرصاً أبيضاً
يطوف في حياتها الغائمة الكبيرة:
الباب للطريق

والرجل الآتي من المخزن كان طيباً وناعماً
أم علي قالت "الحياة خبزة وبيت"
ذاك الفتى النبيل راح، انقطعت أخباره
أضاعت الظلال روحه، غيبه المحال
لا أحد يعرف بعد أيما مدينة خفية يُريد.

تماسكت

وأفلتت من الصدى

وسكنت مدينة

يعرفها التلميذ في كتابه، يعرفها موزع البريد.

انتهت القصيدة:

وضاح لا يجري وراء شمس

وضاح في سريره ينام.

تكفيك هذي الغرفة الصغيره:

هم لهم الشمس وأفق الماء

هم لهم التذاكر، العواصم، الاضواء
أنت لك العكازة الخشب
تليق بالفتى الذهب
تكفيك هذي الموعظة!
الأسطر التي كتبتها
موجوعة، نامت من التعب
ونهضت ناحلة تكاد تستريح عند الباب
لغفت بالجريدة
خبزي، وحينما
وصلت باب البيت
أقبتها، نسيت ما كتبت.
تكفيك هذي الموعظة!

أم علي غادرت

للجهة الأخرى،

الحياة غادرت

للجهة الأخرى

الحياة

غادرت!

فهل فهمت الموعظة؟

انتهت القصيدة:

رشدي ينام في سريره

عكازه تلامس الوسادة.

انتهت القصيدة

فخلني مُتكتاً على الجدار

أرقب المدى:

تتبعثر أسماؤنا في الرياح، تدور بها حولنا

كل شيء هنا

غرفة بابها للحديقة

الضياء مضي

والجفاف أتى الشفتين

إن رشدي ينام

وجهه بين بابين مفتوحين

وجهه بين مسالتين

وجهه شاحب

وجهه شاحب

والشموس تمام

في مدى روحه واليدين.

إشارات:

(١) "ساحرات سالم" مسرحية معروفة لأرثر ميللر تدور أحداثها في قرية يحكمها السحر والساحرات.

(٢) "أحلام الشتاء" سمفونية جايكوفسكي الأولى.

(٣) "نهر بلا إياب" هو "نهر بلا عودة" أحد أفلام مارلين مونرو عرض في ١٩٥٩-١٩٦٠ وأوائل الستينات وقد لاقى إقبالا شديداً، وكانت لذلك دلالة.

(٤) "أم علي" هي السيدة الفاضلة، زوجة رشدي العامل حتى سنة ١٩٧٥.

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون

